Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol. 29/ No. 4/ 2021 المجلد 29/ العدد 4/ 2021

عمل الوساطة في خطاب المقدّمات: كتب الاختيارات النثريّة أنموذجا

حمدي خليفة عبيد
قسم اللّغة العربيّة/ كليّة العلوم والآداب بطبرجل/
جامعة الجوف/ المملكة العربيّة السعوديّة/ كليّة العلوم الإنسانيّة والآداب
بسوسة/ جامعة سوسة/ تونس.
hamdanabid2017@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2020/11/ 19 تاريخ قبول النشر: 26 / 2020/12 تاريخ نشر البحث:2021/4/23

المستخلص

خصصنا مقالنا لتبيّن دور المقدّمات والنّصوص الموازية في الكشف عن مسار تحوّل النصّ من مجال اللانصّ إلى مجال النصّ والمأسسة. ولقد جعلنا من كتب الاختيارات النثريّة مدوّنة. ومن هذه المقدّمات ما كان يفصح عن متصوّر الأدب لدى القدامى، ومنها ما كان يكشف عن منزلة الأديب ومكانته من الحقل الأدبيّ، هذا إضافة إلى مقاصد التأليف الّتي تجعل من المؤلّف عونا وسائطيّا ينهض بوظيفة النقل والإبلاغ. وبان لنا، أنّ الأديب العربيّ يؤلّف الكتب وفق سنن يكاد لا يتخطّاها. ومن ثمّ انتهينا إلى أنّ الكتابة النثريّة تخضع لنظام خطابيّ، سمح لنا بعدّ الأدب مؤسّسة. ورغم هذا الاشتراط، فإنّ النصّ الأدبيّ متجدّد، ذلك أنّ الخطاب التقديمي يشكّل عملا سياقيّا، يتجدّد به النصّ مع كلّ نشر جديد.

الكلمات الدالة: الوساطة، نصوص موازية، نظام الخطاب، الحقل الأدبي، إستراتيجيا القيمة، إستراتيجيّة الوظيفة.

Mediation Work in Prelude Texts: Prose Collection Books as a Model

Hamdi Khalifa Abid
Department of Arabic Language/ College of Science and Arts in Tabarjal/ Jouf University/ College of Sciences and Arts in Sousse/ University of Sousse/ Tunisia

Abstract

We have devoted this article to researching the role of introductions and parallel texts. They make us discover the treatment by which a literary work is transformed from non-text to text and institutionalization. The blog for our research was the Selection Prose Books. Our study of the introductions revealed not only the perception of literature for ancient writers bit also the status of a writer, in the literary institution. Furthermore the Parallel texts make the author as a media assistant who has the function of transmission and communication. And it became clear to us, that through introductions and speeches, the Arab writer writes books according to the laws of literary authorship.

key words: Mediation, Parallel texts- System discourse, Literary field, Strategically value, Function strategy.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تصدير:

قال الحارث بن همّام في المقامة البكريّة، محاورا غلاما بإحدى القرى: "أيباع ههنا الرُّطب بالخُطَب؟ قال: لا والله. قال: ولا البلح بالمُلَح؟ قال: كلاّ والله، قال: ولا التّمر بالسَّمر؟، قال: هيهات والله، قال: ولا العصائد بالقصائد؟... [قال الغلام] أمّا بهذا المكان فلا يُشترى الشّعرُ بالشّعيرة، ولا النّثرُ بنُثَارة، ولا القَصَص بقُصاصة، ولا الرّسالة بغُسالة، ولا حكم لقمان بلقمة، ولا أخبار الملاحم بلحمة." [1].

تمهيد

تكاد لا تخلو مصنّفات الأدب العربيّ القديم من خطاب فاتح يتقدّمها في ترتيب الصفحات معلّقا عليها، متحدّثا عن السيّاقات الحافة بكتابتها، وراسما منهج تأليفها وما يعلق به من أغراض، وكأنّ النصّ في كلّ ذلك كيان مستطيع بغيره، لا يمكن أن يوجد بذاته، فهو بذلك محتاج إلى وساطة Médiation خطاب المقدّمات Discours Préfaciel والنصوص الموازية paratextes، وهذا من شأنه أن يبرّر شوق كلّ نصّ إلى أن يقرأ [2]، فهي الّتي تؤمّن له الاستقبال الناجع، والفهم الّذي يُراد للقارئ أن يستقبل فصول الكتاب على أساسه دون غيرها من الأسس وإمكانات القصد.

بهذا التصوّر لا تجري الوساطة في خطاب المقدّمات عفو الخاطر، إذ إنّ التوسّط عسف وعمل وتحويل، بدءا بنفيّ عفويّة التقاء المبدع بجمهوره التقاء مباشرا ومرورا بما يدلّ عليه فعل الوساطة من إجبار وإكراه في التحوّل من فضاء إلى آخر، نقصد فضاء الكتابة والإبداع وفضاء الاستقبال أو بالأحرى فضاء اللانصّ وفضاء النصّ وانتهاء بما يطرأ على طرفي مسار الوساطة، الأديب والقارئ، من تبديل وتغيير في الهويّة خلال الكتابة والتلقي.

بهذه الوساطة يكتسي خطاب المقدّمات طابعا إنجازيّا Performatif، يطال الصّورة الّتي تتحتها المقدّمة للأديب والقارئ والنصّ، ولا يؤدى هذا العمل على نحو لسانيّ، قوامه التحفيز والإغراء لتشجيع القارئ على قراءة الكتاب واقتنائه فحسب؛ وإنّما ينجز أيضا على أساس مؤسسيّ مؤدّاه صلة النصّ بسنن التأليف الأدبيّ ومواضعاته إنشاء، واستقبالا، معنى ذلك أنّ الهيأة الّتي يُخرج عليها الخطاب التقديميّ، النصّ وصاحبه وقارئه؛ هي الّتي تيسّر له المرور إلى الحرم الأدبيّ، وجمهوريّة الأدباء، والدخول إليهما حيّا. ومن هنا تتوثّق الصّلة بين خطاب المقدّمات والحقل الأدبيّ، وتتوضّح ملامح الأعمال والاستراتيجيّات الخطابيّة المنوطة بالمقدّمة.

بناء الإشكاليّة

وقد يتوقّف مصير النصّ الأدبيّ على ما يجري داخلها ومدى استجابة العابر لطقوس العبور وسننه. ويعني كلّ هذا أنّ انتقال الكلام الغفل غير الموسوم من مجال اللانصّ والوفرة إلى مجال النصّ الموسوم، مشروط بأعمال التحويل الّتي تدخل عليه سواء أكانت لسانيّة أم مؤسسيّة.

إذن، كيف يتحوّل الكلام إلى مصنّف أدبيّ؟ هل بوسع خطاب المقدّمات في المصنّفات العربيّة القديمة أن يحكي لنا قصّة تكوين النصّ، وانتقاله من طور هدير الكلمات والخيرات الطبيعيّة، إلى طور النفائس والخطاب

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المنظّم القادر على الانخراط في حركة التبادل واقتصاد الكلام؟ فيم تتمثّل الأعمال الإنجازيّة اللسانيّة والمؤسسيّة في خطاب المقدّمات؟ ما صلة هذا الخطاب بالأنظمة الرمزيّة المتّخذة من المؤسّسة الأدبيّة والحقل الأدبيّ ونظام الخطاب تعبيرا لها؟ لِمَ يفصّل المؤلّف القول في منهج التأليف؟ أ يقتصر العمل على التحكّم في جهة القراءة بإنشاء خطاب حراسة، يمنع القارئ من صرف النصّ إلى وجهة من التأويل، غير محمودة تعرّضه للبوار والخمول؛ أم إن الأمر يرتبط بمتصوّر مخصوص للأديب والأديب يعطى فيه الاعتبار للشكل والعرض على حساب مضمون الاختيار المحكوم بالتكرار والاستعادة؟

وما السّنن الّتي يتّبعها الأديب العربيّ في التأليف؟ هل تختلف من مصنّف إلى آخر؟ ما الثابت فيها، وما المتحوّل؟ وهل يعرى خطاب المقدّمات من أثر الذات في تشكيل خطابها؟ فيم تتمثّل الوظائف الّتي يسندها الأديب إلى نصّه؟ وبم يمكن أن نبرّر ملازمة الوظيفة لسائر صنوف التأليف؟ ألا تكون الوظيفة شرط تحوّل الكلام من طور الخيرات الطبيعيّة إلى طور النفائس والأشياء ذات القيمة التبادليّة؟ أو لا يمكن أن يرتدّ التأليف إلى وظيفة جامعة، وثيقة الصلة بحاجة الجماعة اللغويّة الواحدة إلى ما يمثّل وحدتها، ويضمن لها الاستمرار في الزمن؟ هل بوسعنا المصادرة على أنّ خطاب المقدّمات ينهض على سنن خاصّة به، يشكّل بها شعريّته الخاصّة ؟

المدوّنة:

طلبا لحصر مجال مقالتنا، اخترنا الاهتمام بخطاب المقدّمات الذاتيّة، الّتي يخطّها الأديب نفسه في ضرب مخصوص من الــتأليف، هو كتب الاختيّارات النثريّة. ونحن لا نجحد أهميّة تنوّع أشكال التقديم في ضروب أخرى من التصنيف والاختيار، كما لا ننكر جدوى ما يمكن أن ينشأ بينها وبين ضروب التقديم وجهازه المصاحب من تنافذ كاشف لتشكّل مسارات القراءة، وصناعة المعنى.

تتوزّع المقدّمات الّتي اهتممنا بها على ثلاثة أنواع من التأليف في الأدب العربيّ القديم، تختلف باختلاف حضور الغرض وغيابه: وهي مقدّمات كتب الأدب الجامعة الّتي ليس لها غرض بعينه، مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، و" زهر الآداب" للحصري، و" الأمالي" للقالي، وكتاب " نِشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" للتنوخي [3]، ومقدّمات الكتب ذات الغرض الواحد، كــ " كتاب الفرج بعد الشدّة"، أو كتاب " المستجاد من فعلات الأجواد" للتنوخي[4]، ومقدمات الكتب المتعدّدة الأغراض، مثل كتاب " العقد الفريد" لابن عبد ربّه، أو كتاب " المستطرف من كلّ فنّ مستظرف" للأبشيهيّ، أو كتاب " نثر الدرّ " للآبي [5].

خطاب المقدّمات وسؤال المنهج

وضعت المقاربات المحتفيّة بالمرجع مفاهيم البنيويّة، ولاسيّما مفهوم المحايثة Immanence والانغلاق Clôture موضع تساؤل. وقد امتد التساؤل والتشكيك إلى هوية النصّ وأدبيّته، أ هي كامنة في ذاته ولذاته، أم أنّها تقبع في نظام غير لساني خارجيّ، يتّخذ عدّة تسميّات، كالمؤسّسة الأدبيّة، ونظام الخطابن، والحقل الأدبيّ؟

ويمثّل خطاب المقدّمات واحدا من المحاور النقديّة الّتي أحرجت مقاربة المحايثية Approche Immanente الّتي تدرس النصّ في ذاته ولذاته، ذلك أنّ المقدّمات تمتلك وضعا أنطولوجيّا قلقا. فهي تتقدّم النصّ وتجعله رهنا لها برسم مسارات قراءته، وضبط شفرات تفكيك ما استغلق من معانيه، لكنّها في مقابل ذلك تتّخذ صورة الخارج

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أو بالأحرى الفضلة الزائدة عن الحاجة، حتّى أنّ طائفة من القرّاء لا تجد غضاضة كبيرة في تخطّي الخطابات المقدّمة وتستقبل النصّ دون وساطة، مادام لكلّ قارئ طريقته الخاصّة في استقبال النصوص، لهذا الاعتبار تقصر المقاربة المحايّثة عن تعقّل قصّة تكوّن النصّ، وما يرتبط به من أعمال وإستراتيجيات، وهو ما يتعارض في حقيقة الأمر مع خطاب المقدّمات والوظائف المنوطة بها.

أمّا المقاربة الّتي تناسب هذا الخطاب، فتوسم بالتعالي النصيّ transsexualité والخطابي Discursive، وهو ما يجد صداه في العلاقات الصريحة والضمنيّة الّتي يعقدها النصّ مع نصوص أخرى، ذاك ما ينطبق أيضا على الخطاب حين يدلّ لا بما فيه من عناصر، وإنّما بما يجاوزه ويصله بخطابات أخرى قد لا تكون من جنسه[6، ص7-8-9-10]، بهذا الانفتاح والتعدّد تغدو دلالة النصّ غير مقتصرة على عناصر النصّ الداخليّة وحدها، ومن هنا تكتسب المقدّمات طابعا إنتاجيّا، مؤدّاه التفاعل الخلّاق بين القارئ والنصّ والخارج، سواء أكان نصيّا أم غير نصيّ.

وفي ضوء جدل الداخل والخارج، تتوزّع مقاربتنا على محورين كبيرين: ينعقد مدار المحور الأوّل على الجانب التصريحي constatif في خطاب المقدّمات، فنحن ننظر في كونه خطابا موضوعا، ينزع إلى عرض سنن التأليف، من مثل تعيين سبب الكتابة، ومصادرها، والطريقة المعتمدة في تنظيم المادة النصيّة وما يقترن بها من أغراض، هذا إضافة إلى صيغة التعاقد، والتنفيق، والتسويغ، وأشكالها المختلفة، أمّا المحور الثاني فمتّصل بنظام الخطاب في مقدّمات المصنّفات العربيّة القديمة، أي تلك القوانين الثقافيّة التي تعمل بالنقل والإبلاغ على إدامة تصوّر دون آخر لصورة الأديب ومفهوم الأدب.

1- صنافة المقدّمات وأشكال الوساطة في الخطاب النقدي الغربي

عديدة هي المصطلحات والمعايير الّتي توظّف لتعيين خطاب المقدّمات[7]، ويمكن أن نختزلها في ثلاثة ضروب وفق منطق التصنيف. فلئن كان المنطق الأوّل يحتكم إلى هويّة المتلفّظ، فإنّ المنطق الثاني يستند إلى منزلة المقدّمة من النصّ الّذي تقدّمه، أمّا المنطق الثالث، فيعوّل على مادة التقديم ذاتها وطبقات الخطاب.

1-1 المقدّمات بين الذاتيّة والغيريّة

من المقدّمات ما يجيء بخطّ المؤلّف نفسه، ومنها ما يرد بخطّ الناشر الّذي يضمّن الكتاب مقدّمة تعرض أطوار التحقيق منبّهة على أهميّته، وبذلك نميّز داخل هذا الضرب الأوّل من التصنيف بين نوعين فرعيين من المقدّمات استناد إلى سؤال من يكتب؟ فمنها ما يخطّه الكاتب نفسه، ومنها ما يكتبه النسّاخ والناشرون أو المحققون والنقّاد.

وإذا كان النوع الأول يوسم بـــالمقدمات الذاتيّة auctorial فإنّ النوع الثاني يسمّى المقدمات الغيريّة *allographe*[2:ص166]. وتستعير جينفياف إدت Géneviève Idt له مصطلح الهيتوروغرافيا Hétéroghraphe[8] ويبدو في تقديرنا أصوب إذ إنّ السّابقة Hétéro تدلّ على معنى الغيريّة والاختلاف إلا أنّ السّابقة Allo لا تفيد إلاّ معنى التنبيه، وهو ما تشترك فيه سائر المقدّمات والعتبات.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وتتّخذ الغيريّة في المقدّمات صيغتين، واحدة مرجعيّة وأخرى تخييليّة، فقد يعنّ للأديب أن يخطّ مقدّمة لمصنّفه وينسبها إلى غيره، ويوسم هذا النوع بالمقدّمة الغيريّة التخييليّة allographe fictive، وقد يخطر له أن يخطّ مقدّمة ذاتيّة، يتأتى لها الطابع التخييليّ من نسبة المصنّف إلى ذات أخرى والتظاهر بأنّ حظّه من التأليف لا يجاوز النقل والنسخ، ويصطلح جينات على هذه المقدّمة بالمقدّمة الذاتيّة النافية لأصالة الملكيّة préface auctoriale authentique dénégative[2: ص172].

يصف جينات هذا النوع بالطابع التخييليّ واللهويّ ludique [2:ص 256-346]، وقد يقوى التخييل أكثر فتسقط الحدود المائزة بين المتن والمقدّمة فتطالعنا واحدة من شخصيّات الحكاية لتضطلع بوظيفة التقديم، معلنة سقوط الحدود بين المجالات النصيّة، وهو ما تمثّله المقدّمات الفاعليّة préface actoriale.

1-2 المقدّمات سبقا وارتدادا

لئن استند التصنيف الأوّل إلى هويّة المتلفّظ، فإنّ التصنيف الثاني احتكم إلى منطق زمنيّ، مؤدّاه منزلة المقدّمة من النصّ الّذي تقدّمه، ومن هنا يتأتى مصطلح النصّ الموازي « paratexte » الّذي استخدمه جينات أول مرة في كتابه الطروس عام 1982، وجعله دالا على جماع العتبات الّتي تتقدّم النصّ، من عناوين رئيسيّة، وفرعيّة ومقدّمات، وتنبيهات، وإهداءات وكلّ ما من شأنه أن يمثّل جوارا نصيّا للمتن، هذا إضافة إلى المقدّمات النقديّة...[6: ص9].

تدلّ السابقة Para على معان عديدة، من مثل التوازي والقرب **para**gouvernemental، وكذلك الحماية كقولنا **para**pluie، ويعني هذا أنّ النصّ الموازي للمتن يتّخذ مسافة مادية قريبة منه، فهو يسبقه مباشرة ويكون معه في الوقت نفسه، ويختزل جينات دلالة هذا القرب في مصطلح «péritexte»؛ أمّا إذا تحوّل القرب بعدا، سواء أكان زمنيّا أم مكانيّا، وكان النصّ الموازي خارج الكتاب ذاته واتّخذ صيغا مختلفة، من مثل حفلات التوقيع وتكريم الفائزين بالجوائز، وحلقات النقاش، والندوات الصحفيّة، والإشهار المتلفز والمقابلات... فإنّه يغدو من جنس النّصوص أو المقدّمات الّتي يستعير لها جينات مصطلح النصّ الخارجيّ Epitexte [2:ص11]، ويرجع اختيارنا هذه الترجمة إلى دلالة السابقة Epi على المكوّن الّذي يخرج على نظام الاصطفاف والتضيد، كخروج حبّات سنبلة القمح عن ساقها أو غصنها.

1-3 المقدّمات وطبقات الخطاب

يجعل التصنيف الثالث من مادة التقديم ذاتها وطبقات الخطاب عيارا لتصنيف المقدّمات واجتراح المصطلحات، من ذلك نذكر مصطلح الميتا- النصّ Métatexte، وهو ضرب من الخطابات من درجة ثانية، يعرض سنن الخطاب الأوّل، وهو منه بمنزلة اللّغة الواصفة الّتي تفصح عن شفرات التفكيك، وتؤمّن فهما ناجعا للنصّ، يقيه سوء الفهم، ويمكن أن نسم هذا الضرب من الخطابات بالميتا - نص الخارجيّة، وتقابلها الميتا- نص الداخليّة، فالنصّ ذاته قد يتوافر على مرجعه الذاتي، وكلّ ما من شأنه أن ييسّر فكّ شفراته بواسطة ما يسمه فيليب هامون بـــ " الملفوظ الميتا- لساني المضمّن" *Enoncé à métalangage incorporé*[9:ص24- 495-526]، وهو من قبيل الملفوظات البرامج أو بالأحرى واصلات التشكّل الدلالي embrayeurs

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

d'isotopie[10،ص:322] أو التقفيّة الداخليّة في النصوص الشعريّة؛ أمّا مهمّتها، فالتأليف بين الوحدات المتناسبة، والمفصولة عن بعضها والمنتمية إلى ذات السياق، وتفصح هذه الشفرات أو السنن المتحكّمة في الخطاب، ولاسيّما الخارجيّة منها، عن البعد الخطابيّ في المقدّمات، ومن ثمّ نحت مصطلح الخطاب التقديميّ discours préfacier وكان الفضل في نحته لندوة عقدت ب تورنتو Toronto سنة 1972، كان عنوانها القراءة السوسيو – نقديّة للنص الأدبي [11].

خلاصة القول، إنّ خطاب المقدّمات الأدبيّة ضرب من الخطابات، يعرض سننا خاصّة به، وأساليب بلاغيّة وإقناعيّة، واستراتيجيات تلفظيّة وثيقة الصلة بمسارات القراءة والإيديولوجيا والمؤسّسة الأدبيّة، وبتضامنها يتحوّل الكلام من وضع الكلام الغفل إلى طور الكلام الموسوم، حيث تضاف إليه قيم تبادليّة تسمح له بالالتحاق بدورة اقتصاد القول.

2- مقدّمات كتب الاختيّار بين الخطبة والرسالة

يتألّف الخطاب التقديميّ من ثلاثة مقاطع كبرى، المقدّمة، العرض الّذي يخلص إليه المقدّم بواسطة فصل الخطاب، والخاتمة، وتجعل هذه المقاطع الثلاثة من المقدّمة خطبة أو بالأحرى رسالة لها أوّل وآخر، فأوّلها حمدلة وتصليّة وتمجيد، ووسطها بعديّة، وخاتمتها تسليم؛ يقول صاحب زهر الآداب في أوّل مقدّمة كتابه الذاتيّة: " الحمد لله الّذي اختصّ الإنسان بفضيلة البيان، وصلّى الله على خاتم النبيين المرسل بالنور المبين والكتاب المستبين الّذي تحدّى الخلق أن يأتوا بمثله، فعجزوا عنه، وأقرّا بفضله وعلى آله وسلّم تسليما كثيرا. وبعد فهذا كتاب..."[12].

أمّا الّذي يبرّر اختيار القالب الترسليّ، فهو انسجام المقام التلفّظي الدال على الأمر الجلل، مع المتصوّر المحوريّ الّذي تنعقد عليه دلالة الخطبة المكتوبة، فضلا عن ذلك، فإنّ القول المنثور: " ليس يخلو أن يكون خطابة أو ترسّلا أو احتجاجا أو حديثا، ولكلّ واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه"[13].

لقد لفت انتباهنا، ونحن نستقرئ خطاب المقدّمات، أنّ الحمدلة في مقدّمات المختارات الأدبيّة ذات الغرض الواحد تعلن من خلال موضوع الحمد عن غرضها، خلافا لمقدّمات الكتب المتعدّدة الأغرض، أو الكتب الجامعة، ومصداق الاختصاص في الحمدلة، قول التنوخي في فاتحة 'كتاب الفرج بعد الشدّة': " الحمد لله الّذي جعل بعد الشدّة فرجا، ومن الضرّ والضّيق سعة ومخرجا، ولم يُخْلِ محنة من مُنحة، ولا نقمة من نعمة "[4:ص51] أو قوله أيضا في مستهلّ كتابه ' المستجاد من فعلات الأجواد' ": الحمد لله ذي الجود والكرم، ومسبغ الآلاء والنعم وصلّى الله على من مشى على قدم محمّد المبعوث إلى سائر الأمم"[14]. أمّا حمدلة الضرب الثاني وكذلك الضرب الثالث من التأليف، فتنعقد في الغالب الأعمّ على تمجيد الله بتعديد مطلق صفاته، هذا إضافة إلى التشديد على اختصاصه بالبيان، يقول ابن عبد ربّه: " الحمد لله الأوّل بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، المنفرد بقدرته"[15:ص3].

وبحضور هذا القالب النوعيّ المستخلص من النموذج الأوفى للخطبة والرسالة، يوثّق الخطاب التقديميّ صلته بمقوّمات القول البلاغيّ، ذلك أنّ ملازمة المقدّمات للمتون، تؤكّد اهتداء الأديب العربيّ بسنن القول ومقاتل الكلام، فحسن الابتداء والتقديم يضمنان، على حدّ قول ابن الأثير: " استمالة الأعناق وحلّ السخائم وجلب ودّ السامع مع الزجّ به في غمرة القضيّة"[14:ص10].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

لذلك لم يكن من الصدفة أن يلتقي المقول بالقول في خطاب المقدّمات، فيكتسي بعدا تداوليّا، مصداقه تركيز صاحب المقدّمة على هيئة مخصوصة يريد أن يظهر عليها، ناهيكم عن حرصه على أن يستحضر قارئا ممكنا يجيبه عن أسئلة، من مثل: ما الأدب؟ لم نقرأ الكتاب؟ كيف نقرأ الكتاب؟ وهو ما يطالعنا أيضا في الخطابة الأرسطيّة الّتي تعطي أوّل الكلام Exordium دورا حاسما في الحمل على الاقتناع، ويمتدّ أثره إلى جوهر خطبة التقديم بالإجابة عن سؤال، لم نقرأ الكتاب؟

3- منزلة المصنّف من الحقل الأدبيّ:

ينعقد فصل الخطاب في رحلة البحث عن شرعيّة القول، على استراتيجيا التنفيق والتأثير بمنح النصّ، موضوع التقديم، قيمة ووظيفة [2:ص8]، ولا يقف هذا العمل الاستراتيجيّ عند النصّ؛ وإنما يمتد إلى الذات المتلفظة والصورة الّتي يعتزم الأديب ترسيخها عن نفسه، وهو ما سنعمل على بيانه في الفقرات الآتي ذكرها:

3-1 استراتيجيا القيمة

تتحدّد قيمة الشيء عادة بالاستناد إلى مرجع معرّف، ويبدو هذا المرجع في المقدّمات الّتي اشتغلنا بها، مزدوجا، الأوّل مقاميّ situationnel والثاني تناصيّ Intertextuel؛ أمّا المرجع الأوّل فيضبط بإعلان الأديب عن موضوع كتابه، حتّى يتعرّف القارئ منزلته من أدب النفس والدرس، والمعاش والمعاد، والجدّ والهزل...وقد يتّخذ صيغة التجربة الذاتيّة الواقعيّة الّتي لا تخرج عن الحدود الّتي تسيّج بها الجماعة تجربة الفرد، فالتنوخي يشير في الجملة الأولى من فصل الخطاب إلى ما خبره في الدنيا من تقلّب بين خير وشرّ، ونفع وضرّ، ويقول في ذلك: " ولم أر لهم في أيّام الرخاء أنفع من الشكر والثناء...ووجدت أقوى ما يفزع إليه من أناخ الدهر بمكروه عليه، قراءة الأخبار الّتي تبنى عن تفضّل الله عزّ وجلّ على من حصل قلبه في محصّله ونزل به مثل بلائه ومعضله، بما أتاحه له من صنع أمسك به الأرماق ومعونة حلّ بها الخناق" [4:ص51-52]

أمّا المرجع الثاني، فتحدّده منزلة المصنّف الأدبيّ من الأقوال السّابقة، وخارطة الأجناس، وأشكال القول الأخرى، وذلك بالإشارة إلى من سبقه في التأليف في غرضه، من ذلك أنّ الجاحظ يبتدئ كتابه برسالة سهل بن هارون إلى بني عمّه من آل راهبون، حين ذمّوا مذهبه في البخل، وتتبّعوا كلامه في الكتب[16:ص33]؛ أمّا التنوخي، فيعدّد أسماء الكتّاب الّذين ألّفوا في غرض الفرج بعد الشدّة، مشيرا إلى ما يعتري أعمالهم من نقص وتداخل، واختزال مخلّ، بل إنّه ينكر على المؤلّفين السابقين السكوت عمّن سبقهما في التأليف، ويشفّ هذا الموقف عن رسوخ سنّة مخصوصة في التأليف الأدبيّ، وهي ما وسمناها بمنزلة المصنّف من الحقل الأدبيّ، يقول التنوخي:

" ووجدت أنّ أبا بكر أبي الدنيا والقاضي أبا الحسين، لم يذكرا أنّ للمدائني كتابا في هذا المعنى، فإن لم يكونا عرفا هذا، فهو طريف، وإن كانا تعمّدا ترك ذكره تنفيقا لكتابيهما وتغطيّة على كتاب الرجل فهذا أطرف"[4:ص53].

من أهمّ مظاهر الإفادة في ضبط منزلة المصنّف من النصوص السّابقة والخارطة الأجناسيّة، بناء أفق استقبال يصرف القارئ إلى وجهة معلومة، تنبذ كلّ بربريّة وخروج عن مألوف السنن، وبأسلوب الالتفات هذا إلى

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

السّابق الهادي وإلى الجاري بريح الأوائل، يكسب الأديب نصّه قوّة تيسّر له دخول الحقل الأدبيّ حيّيا، فيتمكّن من تثبيت ملك وحوز داخل جمهوريّة الأدباء، وإلى جانب هذه الوظيفة الّتي نسمها بوظيفة التنفيق المؤسسيّ، أو الرسميّ، ودخول الحقل الأدبيّ، نجد وظيفة أخرى. فإذا كانت الوظيفة الأولى منعقدة على محاولة الأديب إثبات انسجامه مع المأثور من الأقوال شكلا وغرضا؛ فإنّ الوظيفة الثانية وثيقة الصلة ببلاغة التميّز، وهي هاهنا بلاغة خطاب المقدّمات.

تتّصف وظيفة التميّز بطابع حواريّ، مؤدّاه أنّ الأديب يستحضر أشكال القول السّابقة في متن مصنّفه، حتّى يكون صوته مختلفا عنها وممتازا عليها في الوقت نفسه، ولعلّ المظهر الطريف في هذه الإستراتيجيا الخطابيّة، هو أنّه يخرج نصّه في صورة النصّ القادر على إنطاق الأوائل والسابقين دون أن يغيب صوته، يقول ابن عبد ربّه :

" فجعلت هذا الكتاب كافيا، شافيان جامعا لأكثر المعاني الّتي تجري على أفواه العامّة والخاصّة وتدور على ألسنة الملوك والسّوقة، وحلّيت كل كتاب منها بشواهد من الشّعر تجانس الأخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها، وقرنت بها غرائب من شعري، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ لمغربنا في قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظّا من المنظوم والمنثور" [15:ص6].

ويبدو لنا هذا الأمر أيضا جليّا في مقدّمة الفرج بعد الشدّة، إذ ينقد التنوخي صراحة علي بن محمّد المدائني، منبّها على مواطن التهافت من عمله، وملتمسا له الأعذار بطريقة لا تخلو من الموضوعيّة والإنصاف، يقول في ذلك:

" ...وكنت قد وقفت في بعض محني على خمس أو ستّ أوراق، جمعها أبو الحسن عليّ بن محمّد المدائني، وسمّاها ' كتاب الفرج بعد الشدّة والضّيقة' وذكر فيها أخبارا يدخل جميعها في هذا المعنى، فوجدتها حسنة، لكنّها أنموذج صبرة(الصبرة: ما جمع من الأشياء بلا كيل او وزن، يقال أخذه صبرة، أي جملة) فلم يأت بها ولا سلك فيها سبل الكتب المصنّفة ولا الأبواب الواسعة المؤلّفة، مع اقتداره على ذلك، ولا أعلم غرضه في التقصير، ولعلّه أراد أن ينهج طريق هذا الفنّ من الأخبار، ويسبق إلى فتح الباب فيه بذلك المقدار، واستثقل تخريج جميع ما عنده من الآثار"[4:ص52].

وطلبا لتنفيق كتابه ببلاغة التميّز، قد يعمد الأديب إلى التنبيه على قيمة النصّ، وقد يبالغ في امتداحه، منوّها بأهمية موضوع كتابه وجدّته، وفي هذا التنويه تقع الإشارة إلى دقة تنظيمه، وطرافة نظامه، وسهولة قراءته، ووحدة نسيجه، وأنّه قد يشير إلى تحرّيه الصدق في اختيّار الأخبار.

2-3 استراتيجيّة الوظيفة

يؤلّف الأديب مصنّفه في ضوء وظيفة الطلب والاستجابة، فيجيء هذا الأمر صريحا في العديد من المناسبات، إذ يعيّن طالب الكتابة والداعي إلى التأليف تعيينا مرجعيّا مرّة، ويكتفي ومرّة أخرى بالإشارة إليه بضمير المخاطب المفرد، وقد يجيء هذا الطلب من ثنايا المعاينة والتجربة الذاتية، فصاحب كتاب الفرج بعد الشدّة يؤلّف مصنّفه بعد أن خبر الدنيا وعاين تقلّب أبنائها بين الخير والشرّ، وبانت له الحاجة إلى كتاب يخفّف من وقع

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تقلّبها، وبهذا الشّكل تضارع الوظيفة النفعيّة في الاختصاص، وحدة الغرض؛ وبالاستتباع تتحدّد صورة القارئ أو بالأحرى طالب المنفعة الخاصّة، يقول التّنوخي مؤكّدا الوظيفة النفسيّة الّتي تقارب عنده وظيفة التطهير النفسيّ:

" فإنّ في معرفة الممتحن بذلك شحذ بصيرته في الصبر، وتقويّة عزيمته على التسليم إلى مالك كلّ أمر، وتصويب رأيه في الإخلاص والتفويض إلى من بيده ملك النواص"[4:ص53].

ويبدو الاختصاص في الوظيفة النفعيّة جليّا في مقدّمة كتاب الجاحظ الّذي يستذكر منفعة خاصّة سابقة، وهي معرفة حيّل اللّصوص، ويمنّي القارئ بعلم لا يقلّ إفادة عن العلم الأوّل الحاصل من تصنيف حيل اللّصوص، ويقول عن هذا الاختصاص في الانتفاع:

"وذكرت أنّك إلى معرفة هذا الباب أحوج، وأنّ ذا المروءة إلى هذا العلم أفقر، وأنّي إن حصّنت من الذمّ عرضك بعد أن حصّنت من اللّصوص مالك، فقد بلغتُ لك ما لم يبلغه أب بارّ ولا أمّ رؤوم"[16:ج1 ص24].

أمّا إذا كان المصنّف من الكتب الجامعة أو المتعدّدة الأغراض، فإنّ الوظيفة النفعيّة تكتسي طابع الشمول، فتسع العديد من الجماعات على اختلاف أدوارهم الاجتماعيّة وحظّهم من المعرفة، يقول الآبي مفصلا القول في هذا الشيوع:

" وهو كتاب ينتفع به الأديب المتقدّم كما ينتفع به الشادي المتعلّم، ويأنس به الزاهد المتنسّك كما يأنس به الخليع المتهتّك، ويحتاج إليه الملك في سياسة ممالكه كما يحتاج إليه المملوك في خدمة مالكه، وهو نعم العود للكاتب في رسائله وكتبه وللخطيب في محاوراته وخطبه..." [5: ص26].

الحاصل ممّا تقدّم، أنّ استراتيجيّة القيمة واستراتيجيّة الوظيفة تمثّلان قوّة عمل ينتقل بموجبها الكلام من طور الكلام الغفل الّذي لا يرجى نفعه ولا يخشى تركه، إلى طور الأقوال الجميلة النافعة الموسومة؛ ويرجع الفضل في ذلك إلى الاستراتيجيّة المتمثّلة في إكساب الكلمات قيمة تبادليّة تسمح للأديب بأن يجد مكانا لكلماته في سوق البيان، طالما أنّه احترم قوانين العرض والطلب وأخذ بعين الاعتبار ما ينفق فيها وما لا ينفق؛ لكن لا يعني هذا أن تعرى بضاعته من البهرج والزخرف والاختلاف عمّا يجانسها جودة.

يؤكّد لنا هذا كلّه، أنّ خطاب المقدّمات ينهض على بلاغة التشاكل والتمايز rhétorique de la distinction، وهي بلاغة خاصّة، يجاوز أثرها النصّ ليمتد إلى ذات الأديب والصورة الّتي يروم أن يرسّخها عن نفسه، ولا تتكشف تفاصيلها إلاّ بدراسة الجانب التلفظيّ في خطاب المقدّمات، وهو ما من شأنه أن يقلّص الهوّة الفاصلة بين النصّ ومرجعه.

4 – سنن قراءة النصّ

لئن أفردت اليوم، الخطاطة الأجناسيّة قسما خاصّا بالخطابات التقديميّة وعدّتها جنسا قائما بذاته وأفردت لها المصنّفات على نحو ما نجده في قصصيّات عربيّة، الكتاب الّذي ضمّ مقالات توفيق بكّار، الّتي قدّمت أعمال محمود المسعديّ وصالح القرمادي والحبيب السالمي[17]؛ فإنّها تعدّ خطابات من درجة ثانية Meta discours، هذا إذا نظرنا إليها، وهي منزّلة في ذات المصنّف، تحويها دفتا الكتاب إلى جانب النصّ الّذي تتقدّمه لتشرح سننه، وتفسّر بناءه، وتعرض الصيغ المتحكّمة في نسيجه القوليّ، شأنها في ذلك شأن المفاهيم اللغويّة الّتي توظّفها

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الدراسات اللّسانيّة في وصف اللّغة [18]؛ أمّا بول ريكور Paul Ricœur فيسم هذا الخطاب بالخطاب النظريّ Discours spéculatif[19،ص380].

يتّخذ الخطاب التقديميّ صورة الخطاب النقدي الّذي يعنى بضبط شفرات قراءة النصّ، فيكون بذلك قراءة ارتجاعية، ويشبه الأديب في تعليقه على نصّه الخاصّ الرسّام الّذي يتّخذ من لوحته مسافة بعد أن أتمّها، لينظر إليها فيتبيّن منها ما لا تظهره الخطوط والألوان والأبعاد، ومن ثمّ يمنح زوّار معرضه أو قرّاء نصّه سنن القراءة، وانطلاقا من هذا التمثيل، يغدو خطاب المقدّمات نظاما يراقب الأقوال حفظا لها من كلّ زيغ أو انحراف، وليس أدلّ على هذا الحرص من مجيء مادة التقديم طيّ المتن ذاته؛ فكلّما استشعر الأديب خطر سوء الفهم أو التقويل أو الاستعمال، يُوجد في ثنايا عمله مساحة استدراك تقيه فوت التحريف [20،ص250]، وحسبنا أن نستشهد في هذا السيّاق بمثالين:

أمّا المثال الأوّل فيرد على لسان الجاحظ حين تدخّل في كتاب مفاخرة الجواري والغلمان وذكّر القارئ الممكن بشرح منهجه في التأليف، فقد أشار إلى أنّ صاحب الغلمان خرج من الهزل إلى الجدّ بخلط أخبار المجّان بأحاديث الفقهاء والزهّاد، ذاك ما يعرب عنه قوله الآتي: " وقد قلنا في صدر كتابنا: إنّ الكلام إذا وُضع على المزح والهزل ثمّ أخرجته عن ذلك إلى غيره من الجدّ، تغيّر معناه وبَطل" [21،ص 119].

أمّا المثال الثاني، فيجيء على لسان ابن عبد ربّه، صاحب العقد الفريد، إذ إنّه يعاود الظهور في صدر كلّ كتاب ليهيّئ القارئ من جديد لاستقبال الباب اللاحق، ويسم هذا التدخّل بمصطلح الفرش فيقول متحدّثا عنه في مقدّمة العقد الفريد:

" وقد ألّفت هذا الكتاب وتخيّرت جواهره من متخيّر جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان، فكان جوهر الجوهر ولباب اللّباب؛ وإنّما لي فيه تأليف الأخبار، وفضل الاختيار، وحسن الاختصار، وفرش في صدر كلّ كتاب، أمّا سواه، فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والأدباء"[15:ص4]، ومن الأقوال الّتي تصوغ واحدا من هذه الفُرُش نذكر قوله في صدر 'كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك':

"فرش كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك: ...وسنذكر في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى من تخلّص من أنشوطة الملوك وتفلّت من حبائل المنيّة، بحسن التنصّل ولين الجواب ورقيق الاستيعاب حتّى عادت سيّئاته حسنات وعيض بالثواب بدلا من العقاب وحفظ هذا الباب أوجب على الإنسان من حفظ عرضه وألزم له من قوام بدنه" [15:ص3].

5- منهج التأليف:

أسلمنا النظر في مقدّمات كتب الاختيّارات المتعدّدة الأغراض إلى تمييز الأدباء بين نهجين في الــتأليف، يجتمعان في هذا الضرب من التصنيف، ويفترقان سواء في الاختيارات النثريّة الّتي لا غرض لها أو الاختيارات ذات الغرض الواحد، ويمكن أن نسم الأوّل بنهج التشاكل الغرضيّ، والثاني بنهج الاستطراد والأرسال، أي التقطّع والتفرّق[22]، يقول إبراهيم بن عليّ الحصريّ:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

" وقد نزعت فيما جمعت عن ترتيب البيوت، وعن إبعاد الشكل عن شكله وإفراد الشكل من مثله، فجعلت بعضه مسلسلا، وتركت بعضه مرسلا ليحصل محرّر النقد، مقدّر السّرد، وقد أخذ بطرفي التأليف، واشتمل على حاشيتي التصنيف. وقد يعزّ المعنى فألحق الشكل بنظائره، وأعلّق الأوّل بآخره وتبقى منه بقيّة أفرّقها في سائره، ليسلم من التطويل المملّ والتقصير المخلّ، وتظهر في التجميع إفادة الاجتماع وفي التفريق لذاذة الامتناع، فيكمل منه ما يونق الأسماع، إذ كان الخروج من جدّ إلى هزل ومن حزن إلى سهل، أنفى للكلل وأبعد من الملل" [12:ص34-35].

يلجأ المؤلّف إلى حيلة قرائيّة طريفة في التنبيه على منهجه في الــتأليف، مفسرا ما بعثه على اتّباع منهج في التأليف دون آخر، فهو يستبق انفعالات قارئه الممكنة، وقد يستعمل مرّة الناسخ الحرفيّ " لعلّ"، وقد يلجأ في أحايين أخرى إلى أفعال من جنس الاعتقاد والتصوّر، سواء للدلالة على توقّع ما يتجدّد وما يتولّد من المخوف، مثل إنكار منهج التأليف المتّبع، أو استضعافه حين يخرج عن المنهج الشائع في التأليف أو ينجم عن توقّع المرجوّ، يعني ذلك أنّ توقّعاته تتراوح بين الخيبة والنجاح؛ وتعدّ هذه المراوحة واحدة من تجليّات الحواريّة في خطاب المقدّمة، تضفي عليها طابعا لهويّا طريفا؛ ويتأكّد هذا الطابع الحواريّ بمراوحة أخرى بين قارئ ضمنيّ تفضحه بعض المشيرات المقاميّة، لاسيّما المتّصلة بإكراهات التأليف والهويّة الأجناسيّة للمقدّمة، والرسالة، وبين قارئ صريح ينهض بوظيفة الطلب؛ وهو ما يبدو لنا جليّا في كتاب نثر الدرّ المتعدّد الأغراض، يقول الآبي راسما بالتوقّع ما يتخوفّه من انفعالات قارئه الصريح الّذي يعيّنه بواسطة الإسناد إلى ضمير المخاطب المفرد:

"حين سمعت بالمجموع الكبير الّذي سميته ' نزهة الأديب' ظننتني قصدت به قصد من يؤلّف كتابا، فيصنّفه أصنافا ويبوبه أبوابا حتّى يتميّز فيه النثر عن النظم والجدّ عن الهزل والسمين عن الغثّ... وتصوّرت إيثارك أن يجمع كلّ شكل إلى شكله، ويقرن كلّ فصل إلى مثله، حتّى يأخذ بعض الكلام برقاب بعضه كلّه، ويتّسق آخر الباب على أوّله، فصنّفت لك هذا الكتاب، محتذيّا لتمثيلك مهتديا بدليلك"[5:ص25-26]

قمين بنا أن نتوقّف لتفصيل القول في هذين المنهجين حتّى نتعرّف طريقة الأديب العربيّ في الــتصنيف والتأليف والأعمال الّتي يأتيها تحقيقا لمنهجه:

5-1 الاسترسال والتفرّق

يستحضر صاحب الاختيار ما رسخ في أفق استقباله استحضار المؤلّف الخبير بأحوال القرّاء، ذلك أنّ الإنكار أو الاستضعاف يترتّبان على سنّة غالبة على التأليف، قد تقتضيها الكتابة والحرف وما ينزعان إليه من عقلانيّة، فمقام الكتابة مختلف عن مقام المشافهة، ولكلّ وسيط منحاه الخاصّ في بناء المعرفة، يقول أبو الفرج الأصفهانيّ مستشرفا موقف إنكار الاسترسال والتفرّق في الــتأليف:

" ولعلّ بعض من يتصفّح ذلك يُنكر تركنا تصنيفه أبوابا على طرائق الغناء، أو على طبقات المغنّين في أزمانهم ومراتبهم، أو على ما غنّي به من شعر شاعر، والمانع من ذلك والباعث على ما نحوناه علل"[23:ج1ص39].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أمّا التنوخي، فيقول مؤكّدا رسوخا النهج الضديد، نقصد التأليف بالتشاكل والاسترسال والتسلسل في تأليف نشواره:

" ولعلّ قارئها والناظر فيها أن يستضعفها، إذا وجدها خارجة عن السنن المعروفة في الأخبار والطريق المألوف في الحكايات والآثار الراتبة في الكتب المتداولة بين أهل الأدب" [3:ج1ص 1].

يبدو الأمر على درجة كبيرة من الخطورة لأنّ الخروج على الجمهور بما يجافي ما ألفه من طرائق في التأليف مركب زلوق، قد يقضي ببوار ما جدّ الأديب في جمعه وتعب في تحصيله، لهذا الاعتبار تجده يتلطّف في التبرير وتفصيل القول فيه؛ هذا إضافة إلى تنفيق كتابه بالسبق؛ أمّا تفسيره لعلل اختياره المنهجيّ، فيتوزّع على الموضوعيّ منه والذاتي، من ذلك احتجاج التنوخي بالتعدّد السياقيّ للأخبار، فالواحد منها يصلح بأن يذاكر به في عدّة معان وسياقات[3:ج1ص12]؛ وهو ما يجيء أيضا على لسان أبي الفرج الأصفهانيّ، إذ يقول في سياق تبرير تنكبّه منهج الطبقات في التأليف :

" ومنها: أنّ الأغاني قلّما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراك بين المغنين في طرائق مختلفة لا يمكن معها ترتيبها على الطرائق، إذ ليس بعض الطرائق، ولا بعض المغنّين أولى بنسبة الصوت إليه من الآخر"[23:ج1ص39].

ويعني هذا، أنّ الخبر وحدة لسانيّة صغرى قابلة للاندراج في العديد من الواحدات الأكبر منها؛ وهاهنا يكون الأخباريّ قد أدرك الخصيصة النوعيّة في أدب الأخبار، وهي استعداد الخبر دائما للارتحال من مقام إلى آخر؛ ولا غرابة في ذلك، فهو شكل جامع أو بالأحرى جنس آكل آكول، يسوق في مساقه ما يعترضه من الأقوال والأشكال.

أمّا التبرير الذاتي، فيجيء في صيغة الفرض والتقدير، ويتمثّل في انفعالات القارئ السالبة إزاء ما ينبئه أوّله بآخره، وما يخلّفه تكرار الوحدات الخبريّة الدائرة في فلك ذات الغرض الواحد من إملال، على نحو ما نجده في كتاب الفرج بعد الشدّة للمؤلّف ذاته؛ وهو أمر لافت للانتباه، إذ إنّه لا يثبت من كتاب إلى آخر على ذات الموقف. ولعلّ الأمر يعود إلى اقتضاءات الخطاب التقديمي، ولاسيّما منزلته الطوبوغرافيّة الّتي تملي عليه أن ينتصر لما يقدّم له بعيدا عن التصوّر النقديّ المتكامل، زد على ذلك، أنّ هذا الاختلاف يرتدّ إلى هويّة القارئ الضمنيّ الّذي يبدّل جلده كلّما تغيّر منهج التأليف، يقول التنوخي واصفا هذا الأثر القرائي السالب:

" لو شغلت نفسي فيه بالنظم، والتأليف، والتصنيف، والترتيب لبرد واستثقل، وكان إذا وقف قارئه على خبر من أوّل كلّ باب فيه، علم أنّ مثله باقيهُ؛ فقلّ لقراءة جميعه ارتياحه، ونشاطه، وضاق فيه توسّعه وانبساطه؛ ولكان ذلك أيضا يفسد ما في أثنائه من الفصول، والأشعار، والرسائل والأمثال، والفصول الّتي إن رتّبت على الأبواب؛ وجب أن توصل بما تقدّم من أشباهها، وتردّد في الكتب من أمثالها؛ فينتقض ما شرطناه، ويبطل ما ذكرناه من أنّ هذه الأخبار جنس لم يسبق إلى كتبه، وأنا إنّما تلقّطتها من الأفواه دون الأوراق" [3:ج1ص12].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الجدير بالملاحظة، أنّ التنوخي يستند في الاستدلال على فضائل منهجه إلى أسلوب الإثبات مرّة وإلى أسلوب البرهنة بالخلف مرّة أخرى، وكأنّه يتوجّه حينا إلى قارئ ممكن لا يقتنع إلاّ إثباتا، وحينا آخر إلى قارئ ممكن آخر لا يقنعه إلاّ البرهان العقلي، من ذلك انّه يجعل المختلف الّذي لا صنو له والمخالط لما لا يشاكله، أقدر على تحقيق التأثير البليغ فيقول:

" إذ ليست الفائدة فيها التنويع، ولا المغزى التأليف؛ بل لعلّ كثيرا ممّا فيها لا نظير له ولا شكل، وهو وحده جنس وأصل، واختلاطها أطيب في الآذان، وأدخل على القلوب والأذهان وأوصل"[3:ج1ص13].

هكذا يحدّد المؤلّف فضائل منهجه من خلال توقّع الأثر السالب لبناء المعنى بالتشاكل الغرضيّ؛ ومؤدّاه تحرّك كلّ من المؤلّف والقارئ في أفق معلوم بفصل الغرض والوحدات اللّسانيّة، أخبارا كانت، أو أمثالا وأقوالا مأثورة؛ وينطبع هذا الأثر في ذهن القارئ منذ أوّل الباب، فتحدّد المكوّنات الدلاليّة للغرض الواحد؛ وهو ما ينطبق أيضا على الأديب، ذلك أنّه لا يخترع المعاني، فهي ملقاة في الطريق، بل إنّه ما إن يعيّن الغرض ويرسم عتباته الأولى حتى تغدو رحلته إلى سدّ المحالات الجدوليّة الشاغرة معلومة، فهو لا يختار من الأخبار إلاّ ما يناسب الغرض الواحد وصار مأنوسا بأسبقيّته وتصدّره للباب، ذاك ما نعتزم تفصيل القول فيه في الفقرة اللاحقة.

أمّا منهج الاسترسال والتفرّق، فموسوم بالعفويّة والانسجام مع الذاكرة الحيّة، نقصد المشافهة، ويمكن أن نتمثّل بما يجيء في الشاهدين الآتيين من تنصيص على العفويّة وأصالة المشافهة حيث يختلط الحفظ السالف بالسماع اللاحق بعيدا عن كلّ أثر كتابي:

يقول أبو الفرج الأصفهانيّ:

" ومنها: أنّ لمّا جعلنا ابتداءه الثلاثة أصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين، وأوّلهم أبو قَطِيفَةَ، وهو ليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول، ثمّ عُمَرُ بن أبي ربيعة، ثمّ نُصَيْبٌ؛ فلمّا جرى أوّل الكتاب هذا المجرى ولم يكن ترتيب الشعراء فيه ألحق آخره بأوّله وجُعِلَ على حَسَبِ ما حضر ذكرُه، كذلك سائر المائة صوت المختارة؛ فإنّها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنين، وليس المغزى في الكتاب ترتيب الطبقات؛ وإنّما المغزى فيه، ما ضُمِّنَهُ من ذكر الأغاني بأخبارها، وليس هذا ممّا يضرّ فيها"[23:ج1ص39].

أمّا التنوخي، فيقول مؤكّدا أصالة المشافهة في أخباره ومروياته:

" هذه ألفاظ تلقّطتها من أفواه الرجال وما دار بينهم في المجالس، وأكثرها ممّا لا يتجاوز به الحفظ في الضمائر إلى التخليد في الدفاتر، وأظنّها ما سبقت إلى كتب مثله، ولا تخليد بطون الصحف بشيء من جنسه وشكله، والعادة جارية في مثله أن يحفظ إذا سُمِع ليذاكر به، إذا جرى ما يشبهه ويقتضيه وعرض ما يوجبه ويستدعيه...فأوردت ممّا كتبته، ممّا كان في حفظي سالفا مختلطا بما سمعته آنفا من غير أن أجعله أبوابا مبوّبة، ولا أصنّفه أنواعا مرتّبة" [3:ج1ص1-12]

يبدو أثر المشافهة في هذا النهج من التأليف جليّا، ولعلّه واحد من أصداء المشافهة الثانية نقصد عودة الشفويّة بعد أن تركت مجالها للتدوين والكتابة رافضة الانمحاء.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ويجد هذا الأمر تفسيره في قاعدة وسائطيّة، مؤدّاها أنّ الوسيط الّذي يُستعاض عنه بوسيط آخر لا يترك ساحة المعركة بسهولة ويظلّ من حين إلى آخر يعاود الحضور، من ذلك أن الشفويّة لم تنقطع كلّ الانقطاع باختراع المطبعة، بل إنّها ظلّت تطلّ برأسها كلّما لانت قبضة الكتابة، وضعف نسق الرّقابة، فنشأة وسيط جديد في النّقل لا ينفي مطلقا الوسيط القديم، يقول جاك قودي Jack Goody: " لا تعوّض تقنيّة التواصل الجديدة التقنيّة الّتي تسبقها ولا تهمّشها؛ وإنّما تُضاف إليها"[24]، فالكتابة لا يمكن أن تفارق عالم الصّوت، موطنها الطبيعيّ الأوّل، ويمثّل إنشاد الشعر عودة هذا الغائب، يقول 'والتر. يونج' معرّفا الكتابة: " هي نظام تصنيفيّ ثانويّ يعتمد على نظام أوليّ سابق، هو اللّغة المنطوقة، فالتّعبير الشفهيّ يمكن أن يوجد بل وجد في معظم الأحيان دون أيّة كتابة؛ أمّا الكتابة فلم توجد قطّ دون شفاهيّة"[25]، والدليل على ذلك، أنّ الوسائط الرقميّة لم تعدِم الكتاب؛ وإنّما أخرجته في صيغة جديدة توسم مرّة بالكتاب الإلكترونيّ، ومرّة ثانية بالنصّ الترابطيّ.

ومن طرائق هذه العودة إعارة الوسيط القديم، بعض مقوّماته، للوسيط الجديد. فمراتب التحمّل والوجادة الملازمة للشّواهد في كتب الأدب، لاسيّما أدب الاختيار أو كتب الأدب الجامعة تماثل علامة الظفرين Guillemets وتنشئ ضربا من الاسترسال بين وسيط المشافهة ووسيط الكتابة، بين الدائرة الكلاميّة Logosphère والدائرة الكتابيّة Graphosphère؛ وما كان للأوّل أن يحضر، لولا ذلك التواطؤ بين الأديب، وذلك الشريك الرمزيّ الّذي يؤمّن للكتابة مشروعيّتها ويتّخذ عدّة صيغ، نقصد السّلف والتراث والمأثور والسنّة والمؤسّسة، التسميّات متعدّدة والمفهوم واحد؛ لكأنّ النصّ بهذا الاستحضار أو التكرار يخوض تجربة الاعتراف بفضل السّابق على اللاّحق؛ ومن ثمّ تغدو الكتابة فضاء حضور وغياب، ييسّر للأديب الالتقاء بالأموات قبل الأحياء.

5- 2 التنضيد الغرضيّ

تذكّرنا الاختيارات النثريّة ذات الغرض الواحد أو الأغراض المتعدّدة بمبدإ التشاكل الدلالي Isotopie، و"هو مفهوم ابتدعه ألجيرادس جوليان غريماس [1966] في ميدان الدلالة البنيويّة، وتعمّم في ما بعد استعماله في تحليل الخطاب [سيميائيّة، أسلوبيّة]. ويشير التشاكل إلى جملة الوسائل المساهمة في انسجام مقطع خطابيّ أو رسالة"[10:ص322].

نرى أنّه من الأهميّة بمنزلة أن ندرس طريقة المؤلّف في احتذاء هذا المنهج في الــتأليف، فهو ليس بالمنهج النظريّ؛ وإنما هو منهج يتشكّل في ضوء مجموعة من الأعمال الماديّة، نتبيّنها من شرح المؤلّف لقصّة تأليف كتابه وتقمصّه للأدوار، لاسيّما دور القارئ.

إنّ الأديب العربيّ قارئ محترف، لا يقرأ النصوص طلبا للمتعة المجرّدة من كلّ نفع، فهو يقرأ سماعا، أو عيانا، وينتخب ما يلائم غرض الباب أو الكتاب ويسقط من حساباته ما لا يناسب جدولته غرضه، فهو ليس بحاطب ليل، يلتقط الغثّ والسمين من الأقوال، يقول التنوخي معبّرا عن هذه القصديّة الغرضيّة:

" وقد وقع إلي كتاب لأبي بكر عبد الله بن محمّد بن أبي الدنيا قد سمّاه كتاب الفرج بعد الشدّة والغالب عليه أحاديث عن النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وأخبار عن الصحابة والتابعين، يدخل بعضها في

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

معنى طلبته، ولا يخرج عن قصده وبغيته، وباقيها أحاديث وأخبار في الدعاء، وهو عندي خال من ذكر فرج بعد شدّة، غير مستحقّ أن يدخل في كتاب مقصور على هذا الفنّ" [4:ص52– 53].

وبذلك يكون اختيار الوحدات الّتي تحقّق الغرض محكومة بالدلالة الغرضيّة والذائقة الجماليّة، وكذلك التجربة الذاتيّة، وتأتلف هذه الشروط لتنحت لحظة تأويليّة فارقة، يقول التّنوخي في ذلك:

" وأنا، بمشيئة الله تعالى، جامع في هذا الكتاب أخبارا من هذا الجنس والباب، أرجو به انشراح صدور ذوي الألباب عندما يدهمهم من شدّة ومصاب، إذ كنت قد قاسيت من ذلك في محن دفعت إليها ما يحنو بي على الممتحنين" [4:ص52].

يشبه الأديب في الأفعال المترتّبة على الاختيار من إثبات، واختزال، وإقصاء، وأخذ، ونقل من فضاء إلى آخر، صاحب المقصّ الّذي لا يقرأ النصوص إلاّ وهو متقلّد أداة الفصل والوصل، وحين تدرك الجدولة مرحلة التشبّع وتجتمع النصوص والوحدات القوليّة المحقّقة للغرض والمستكملة لفصوله وأبوابه، يعلن المؤلّف ولادة نصّه، فيمنحه عنوانا مادامت التسمية تعيينا صلبا للموجودات؛ وإذا أخذنا بعين الاعتبار عمل النقل والانتقال من فضاء إلى آخر، واستحضرنا خفّة الحامل، نقصد الكتاب والورق، ألفينا مفهوم الأدب مختزلا في النقل والإبلاغ؛ أمّا العمل الأوّل، فيدلّ على الانتقال من زمن إلى آخر؛ وأمّا العمل الثاني، فضرب من التواصل بين أطراف مرجعيّة، تؤكّده إن صيغة المقدّمة، أو وظيفة الطلب والإجابة.

يكشف فعل الاختيّار المحقّق للغرض عن واحدة من أهمّ الوظائف الّتي تختزل متصوّر الأدب، وهي وظيفة التمثيل، وفي ضوئها يكتسب أدب الاختيار وظيفة سيميائيّة، فهو ينطلق من بعض المتعاليات النصيّة والأغراض الّتي يستشرفها الأديب، وهو يتهيّأ للتأليف، ومن ثمّ يأخذ في البحث عن مؤوّلاتها وممثلاتها، ذاك ما يجعل كتابة الاختيار ضربا من التأويل، إذ إنّ الأخباريّ يقرأ النصوص ويسمع الأخبار ليسوسها ويستقبلها على نحو قد يكون مختلفا عمّا هي عليه في فضائها الأوّل؛ أمّا الفضاء الجديد فيشكّل مسارا تأويليّا تحويليّا.

لا يدوّن الأديب كلّ ما يجده في الكتب، أو يلتقطه من أفواه الرّجال، ويستخرجه من صدورهم؛ وإنّما يُعمل فيها مبدأ الانتخاب؛ فإذا كان الغرض واحدا، تبسّط في اختيار أشكال القول، من أمثال، وأشعار، وأخبار، ونوادر؛ أمّا إذا تعدّدت الأغراض أو غابت، فإنّه يطلق العنان لاختياراته، مبعدا الشكل عن شكله، ومفردا الشيء من مثله؛ وتأسيسا على هذا الاعتبار تتضح ملامح متصوّر الأدب لدى أدباء الاختيّارات النثريّة، فهو على حدّ قول ابن خلدون "....حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كلّ علم بطرف..." [26ج2ص721].

يمنح طابع الشّمول في فعل الأخذ والاختيار التأليف الأدبيّ طابعا موسوعيّا فيجعله "علما لا موضوع له"، لاسيّما أنّه لا ينتج المعارف ولا يبتدعها؛ وإنما يستعيدها والمهمّ لديه هو أنّ ما يختاره يكون قد قيل سابقا أو دوّن؛ لذلك ليس له في تأليفها من" فضل" أكثر من حسن الاختيار والتنضيد وتهيّئة الأفضيّة الّتي تستضيف الأخبار بعد أن تطوّف بها عصا الترحال، وتحطّ بها في كلّ مرّة في فضاء نصيّ جديد قد يكسبها معنى آخر.

قد لا نجانب الصواب، إذا ذهبنا إلى أنّ الطابع الموسوعيّ في أدب الاختيارات النثريّة، والعمل الطارئ على صيغة العرض واختيار المنهج وتهيّئة الفضاء النصيّ المحتضن للوحدات المختارة، يقرّب متصوّر الأدب من

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الماتزيس Mathesis وهي عند رولان بارط واحدة من القوى الثلاث *Mathésis, Mimésis, Sémiosis* الفاعلة في اللّغة دون المعارف، فهي الّتي تجعل الأدب ممارسة كتابيّة للغة أو بالأحرى فجيعة للغة في ذاته وبذاتها، فالأديب يجعل منها مسرح لعب وعمل؛ أمّا المحاكاة بوصفها قوة تمثيل للواقع، فتعجز عن تمثيله بسبب أبعاده المتعدّدة؛ وبما أنّ اللّغة تنزع في عالم الأدب والكتابة إلى تمثيل ما يستحيل تمثيله تفقد واقعيتها وتغدو تخييلا؛ كذا الأمر نفسه مع السميوزيس باعتبارها علاقة إنتاجيّة قائمة بين الدال والمدلول [27:ص224-225].

6- المقوّمات التلفظيّة في الخطاب التقديمي

لئن كان المؤلّف ذاتا فاعلة تنهض بدور محوريّ في إنتاج النصّ، فإنّ البنيويين همّشوه بإعلان موته، ولم يعد إلى الحياة إلاّ مع المقاربات السوسيولوجيّة، والدراسات الغرضيّة، والقراءات الباحثة في جينيولوجيا النصّ، أو الدراسات الّتي تدرس الظاهرة الأدبيّة بالنظر إليها على أنّها خطاب يلتقي في القول بالمقول، ومصداق ذلك اعتبار دومنيك مانقنو Dominique Maingueneau الخطاب إيتوس Ethos [28:ص55- 62- 68].

وفي ضوء هذه المقاربات، يجيء الاهتمام بصورة الأديب والصوّر التلفظيّة الّتي يروجّها لصالحه عبر الخطابات، ولاسيّما منها الخطابات التقديميّة، ومهما كان نوعها فهي تنخرط جميعا في استراتيجيا تنفيق العمل الأدبيّ، ومن هنا تجيء أهميّة دراسة التلفّظ في الخطاب التقديمي.

يقتضي كلّ قول وضعيّة تلفظيّة باعثة على التلفّظ مبرّرة للكتابة والتأليف الأدبيّ؛ ومن الأهميّة بمنزلة، أن نشير إلى أنّ هذه الوضعيّة تحدّد نجاعة الاستراتجيا المزدوجة الّتي حلّلناها في الفقرات السّابقة، ذاك ما يبرّر توافر خطاب المقدّمات على العديد من المشيرات التلفظيّة الّتي تؤكّد انخراطه في مقام تواصليّ، وأجلّها حضور المتلفّظ والمتلفظ له؛ إذن فيما تتمثّل المشيرات التلفظيّة الراسمة لصورتيهما في خطاب المقدّمات؟ وما دورهما في تنفيق الكتاب وضمان رواجه؟

6 -1 صورة الأديب المتلفّظ

نحن لا ننكر البتّة، أنّ من ألّف المقدّمات الذاتيّة لكتب الاختيارات النثريّة ومتونها هو شخص واحد؛ إلاّ أنّ مقام التلفّظ فيهما مختلف، فالذّات الّتي ألّفت المتن تقدّم خطابا عن العالم نظاما، وبيانا، وأحوالا؛ أمّا الذّات الّتي صاغت المقدّمة، فتعرض خطابا عن الأدب إنتاجا واستقبالات.

يتكوّن هذا التقديم من خطابين، خطاب مقدِّم وخطاب مقدَّم؛ وإذًا الذات المتلفّظة بالتقديم والمنجزة لعمل القول، مختلفة عن الذات الّتي ينتجها القول المقدَّم؛ وبهذا الخطاب الفاتح تتّضح لنا ملامح المسار الّذي يمكن أن نترسّم خطاه لتعرّف صورة الأديب الّتي يروم أن يرسّخها الخطاب ذاته، خاصّة أنّ نشأة المصنّفات الأدبيّة العربيّة ولاسيّما الرسائل منها، تحاكي الخطبة في اهتمامها بحسن الافتتاح، وما يسند إليه من أدوار في ترسيخ صورة مقنعة للذات المتلفّظة.

يرسم الأديب العربيّ هيأته التلفظيّة من خلال طرف ثالث Tiers يجيبه عن طلبه بالتأليف ويعلن خضوعه وتواضعه، وهذا من شأنه أن يجعل صورته التلفظيّة قائمة على إيتوس التواضع Ethos de modestie [29: ص10]، ومردّه ذاك باعثان، أوّلهما باعث مؤسسيّ، وهو أنّ الأديب لا يمتلك أهليّة الكتابة إلاّ إذا استجاب

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

لصاحب السّلطة، وبامتثاله للطلب يتقمّص صورة أو بالأحرى دور الصنيعة والتابع والعون الرسميّ، فهو ينهض بدور خطير ويتجشّم مسؤوليّة نقل تراث الجماعة اللغويّة ليسافر به عبر الأزمنة، لذلك لا يمكنه أن ينقل ما يشاء وعلى النحو الّذي يريده، وليس أدلّ على ذلك من أنّ القصّ ولم يكن متاحا إلاّ للأمراء والمأمورين والمحتالين، كما لم تكن الكتابة ولاسيّما النثريّة والديوانيّة مبذولة لكلّ من هبّ ودبّ، فصاحب السلطة يعلّق عليها مقاصد كثيرة، أجلّها تنفيق سلطته رمزيّا، ويعني هذا أن مضامين النّقل والإبلاغ تقيّد بالحرف لتدوم حتّى تتوافق مع مشروع من يسيطر على مراكز الإبلاغ والنّقل، يقول العادل خضر مؤكّدا هذا الاعتبار:

" يمكن حدّ الأدب بكونه وسيطا يتكوّن من تقنيات مختلفة في نقل المعارف محكومة بمؤسّسات النّقل الّتي تسطّر للأديب ما ينقل من كلّ علم وفنّ وكيف ينقل، وليس الأديب بهذا المعنى مكلّفا باستنباط العلوم بقدر ما هو مكلّف بنقلها فحسب" [30:ص384].

أمّا الباعث الثاني فتداوليّ استراتيجيّ، إذ لا يجد الأديب كبير الحرج في التقليل من شأن عمله على سبيل الاعتذار، فإبراهيم بن علي الحصري يقصر فضله في الــتأليف على حسن الاختيار فيقول في ذلك:

" وليس لي من الافتخار في تأليفه أكثر من حسن الاختيار...ولعلّ في كثير مما تركت ما هو أجود من قليل ممّا أدركت، إذ كان اقتصارا من كلّ على بعض ومن فيض على برض...فمهما تراه من ذلك في هذا الاختيّار فلا تُعرِض عنه بطرْف الإنكار، وما أقلّ ذلك في المسالك الجارية في هذا الكتاب الموسوم بــ' زهر الآداب وثمر الألباب' لكنّي أردت أن أشارك من يخرج من ضيق الاغترار إلى فسحة الاعتذار" [12:ص36-39].

أمّا التنوخي، فيطلب الصفح صراحة من قارئه قائلا: " وأنا أرغب إلى من يصل كتابي هذا إليه وينشط للوقوف عليه، أن يصفح عمّا يعثر به من زلل ويصلح ما يجد فيه من خطإ وخلل"[4:ص55].

وإذا كان إيتوس التواضع يحمل الأديب على خسارة الشيء الكثير من عناصر القوّة في شخصيّته، ويعرض عمله لفقدان الشرعيّة، فإنّه يسترد ما خسره من خلال قدرته على تنظيم كتابه واختياراته الصائبة، شأنه في ذلك شأن الواصف الّذي يضحّي بذاته من أجل المرجع؛ لكنه يستعيد ما خسره حين تظهر لنا براعته الوصفيّة [31: ص147]؛ وإلى ذلك فإنّ حضور هذا الطرف الثالث يبدو مهمّا، ولا يختلف اليوم من جهة وظيفته الرمزيّة عن صيت دار النشر وعلوّ كعب الناقد الّذي يتكفّل بكتابة المقدّمة الغيريّة وتكون له منزلة سنيّة في محافل النقد، فالأديب في كلتا الحالتين تسري إليه عدوى الرأسمال الرمزيّ الّذي تتحلّى به شخصيّة صاحب السلطة الّذي يكلّفه بالكتابة أو دار النشر الّتي تخرج العمل في هيأة مونقة أو الناقد الحجّة الّذي يقدّم عمل غيره من الأدباء الناشئين أو المغمورين.

2-6 صورة القارئ المتلفّظ له

تسدّ المقدّمة تلك المسافة الفاصلة بين السيّاق غير اللغويّ والسيّاق النصيّ، وتمدّ جسور الاسترسال والتواصل بين العالمين بفضل تحوّل الخطاب التقديميّ إلى عمل قوليّ، ينزع إلى التأثير في قارئ ترسم الذات المؤلّفة صورته، وتجعل من النصّ ساحة تفاوض بينهما حول قراءة النصّ وصيغ استقباله.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تحضر هذه الصّورة من خلال الملفوظات البرامج؛ أمّا الحوار فيتمّ من خلال وظيفة الطلب والاستجابة، ويتمثّل أثره التلفظيّ في كون القارئ الصريح يملي عليه اختياره ومنهج تأليفه ويراعي حضوره من خلال عمل الامتثال؛ أمّا القارئ الضمنيّ، فيُفتَضَح حضوره من خلال الإغراء باقتناء النفائس، أو إثارة قرمه بتشبيه الكتاب بمائدة حوت صنوفا متنوّعة من الأطعمة.

يصرّح المؤلّف في مقدّمته باعتماد مبدأ خاصّ في الاختيار والتخيل، وهو انتقاء الأفضل، فالأفضل يقول التنوخي:

" أمرت أطال الله في النعمة عمرك...أن أجمع لك من أخبار الأجواد أجودها ومن فعلات الكرام أسناها وأبعدها، فسارعت على تقصيري إلى الامتثال"[14:ص10]، ويبرّر ابن عبد ربّه هذا الميل إلى الأفضال بالسلوك البشريّ وما ركّب في النفس البشريّة والناس عموما إلى كتابة أحسن ما يسمعونه وحفظ أحسن ما يسمعونه [15: ج1ص5].

ويعني هذا، أنّ كتب الاختيار تتوجّه إلى قارئ كونيّ، وليس أدلّ على ذلك من تبسّط الأديب في تعيين الفئات الّتي تنتفع بأدبه وذلك بالعودة إلى ما ركّب في النفس البشريّة من مشاعر؛ إلاّ أنّه لا يهمّش وليّ نعمته ولا ينسى أبدا أنّه صنيعة من صنائعه، فهو الباعث الرئيسي على الكتابة وإن كان هذا الباعث مجرّد مقام تلفظيّ يستدعيه كلّ قول.

هكذا كان عمل اختيار الأجود فالأجود دالا على درجة كبيرة من الدقّة والصرامة اللّتين يفصح عنهما مرور المتلفّظ ذاته بقراءتين متراتبتين، واحدة تجمّع وأخرى تنخّل وتجرّد موضوع الاختيار من اللفظ السوقيّ والحوشيّ السّاقط وتبحث عن جوهر الجوهر. وبهذا الانتقاء يستحضر الأديب على شفا الغياب متلفّظا له ينزّله في أعلى درجات السلّم الاجتماعي، شأنه في ذلك شأن موضوع الاختيار الّذي يتصدّر هو الآخر أعلى درجات سلّم الأدبيّة والمنفعة، وكيف لا يكون كذلك وسوق بيانه، أرباب السلطة.

اللافت للانتباه، أنّ سجلّ النفائس والجواهر يخالط سلالم المفاضلة، يقول إبراهيم بن علي الحصري مخاطبا وليّ نعمته، طالب التأليف:

" فأجبتك إلى ملتمسك بكتاب كلّلت نظامه وثقلت أعلامه، بذهب يروق سبك إبريزه ويروق حوك تطريزه من نوادر المتقدّمين والمتأخرين"[32:ص2]

ويجد هذا السجلّ نموذجه الأوفى في كتاب العقد الفريد، حيث وزّع ابن عبد ربّه أبواب كتابه وفصوله على ضروب متنوّعة من الجواهر، ويتأكّد هذا الأمر بقوله:

" وسميته 'كتاب العقد الفريد' لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقّة السلط وحسن النظام، وجزّأته على خمسة وعشرين كتابا، كلّ كتاب منها جزآن، فتلك خمسون جزءا في خمسة وعشرين كتابا وقد انفرد كلّ كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد، فأوّلها كتاب اللؤلؤة في السلطان، ثمّ كتاب الفريد في الحروب، ثمّ كتاب الزبرجد في الأجواد والأصفاد، ثمّ كتاب الجمانة في الوفود، ثمّ كتابة المرجانة في مخاطبة الملوك"[15:ج1ص 7].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ولا يخفى عنّا، ما لهذا المعجم من دور في تنفيق الكتاب، ومنح الكلام الغفل قيمة تسمح له بأن يدخل سوق البيان وقد حاز أعلى مراتب جودة السبك ودقّة النظم، ومن ثمّ يغدو جديرا بالقراءة الّتي تؤمّن له الرواج وتقيه البوار، آفة كلّ تأليف، حتّى أنّ التنوخي يختم خطبة نشواره برجاء عدم بوار ما جمعه وضياع ما تعب في كتابته[3:ج1ص13]، ولعلّ هذا الرجاء هو العمل الإنجازيّ Performatif المحوريّ الّذي ينعقد عليه الخطاب التقديميّ، خاصّة أنّ الأقوال الموسومة مهما كان وسمها، ومهما كانت سلطتها، تظلّ نهب النسيان الّذي يتهدّدها بإعادتها إلى سيرتها الأولى، ووحدها النصوص الّتي تجد لها موقعا مخصوصا من الحقل الأدبيّ المؤسسيّ كالكتب المدرسيّة أو الكراسي الأدبيّة أو وحدات البحث المفردة لضرب خاصّ من التأليف، هي الّتي تؤمّن موقعا دائما للنصّ في عالم القرّاء.

تطالعنا إلى جانب صورة القارئ الكونيّ وصورة القارئ صاحب السلطة الّذي لا يقنع من الأشياء إلا بأفضلها، صورة تلفظيّة أخرى تضاف لاستكمال صورة المتلفّظ له، وهي صورة القارئ الكوني الضيف الّذي تعدّ له مائدة حوت ألوانا عديدة من الأطعمة، يقول الحصري واصفا مائدته مرغّبا في الجلوس إليها:

" وجعلته بتنويع الكلام كالمائدة الجامعة لفنون الطعام، إذ هم الناس مفترقة وأغراضهم غير متّفقة، ولا أعلم حقيقة ما تستدره ولا محض ما تؤثره" [32:ص3].

وتجاوز طرافة هذا التمثيل الإغراء والرغبة، فهو يصرف النصّ باتّجاه أكبر عدد ممكن من القرّاء بواسطة متصوّر طريف يتوافق مع بعض الدلالات الّتي تطالعنا بها بعض الاشتقاقات اللّغويّة لمادة [أ. د. ب]، نقصد الأدب المأدُبَة، وهي " الطّعام الّذي يصنعه الرّجل ويدعو إليه النّاس، الأَدْبُ مصدر من أَدَبَ القوم يَأْدِبُهم أَدْبًا إذا دعاهم إلى طعامه، والآدِب [جمعه أَدَبَةٌ] الدّاعي إلى الطّعام، وآدَب القومَ إلى طعامه يُؤْدِبُهم إِيدَابًا، وأَدَبَ، عمل مأْدُبة، الأُدْبَةُ والمأْدُبة والمأْدَبة: كلّ طعام صُنع لدعوة أو عرس" [22].

ومهما يكن من أمر مبالغة الأديب في امتداح مصنّفه، ونزوعه به إلى مخاطبة متلّفظ له يبدلّ جلده العديد من المرّات في المقدّمة ذاتها، فإنّها لا تحجب عنّا حسّا نقديّا معرفيّا بدا لنا طريفا كلّ الطرافة، ومحصّله أنّ المؤلّف العربيّ القديم ينظر إلى المعرفة بوصفها حصيلة يضيف فيها اللاحق إلى السّابق، مستدركا أخطاءه أو مجوّدا صوابه، يقول ابن عبد ربّه:

" ثمّ إنّي رأيت صاحب كلّ طبقة، وواضعي كلّ حكمة، ومؤلّفي كلّ أدب، أعذب ألفاظا وأسهل بنية وأحكم مذهبا وأوضح طريقة من الأوّل، لأنّه ناكص متعقّب والأوّل بادئ متقدّم" [15:ص4].

3-6 التلفّظ والحقل الأدبيّ

يؤكّد لنا التلازم بين المتن من جهة، وبين خطاب المقدّمات وحاجة الأديب إلى طرف ثالث لتنفيق عمله من جهة ثانية، أنّ كلا من الأديب ومصنّفه كائنان مستطيعان بغيرهما، فلا يكتب لهما الدخول إلى الحرم الأدبيّ إلاّ عبر وساطة طرف ثالث يمنحهما الصورة الّتي تيسّر لهما هذا النفاذ، ويجد هذا الأمر مبرّره في أنّه ليس من سوق للأديب غير سوق السّلطان، يقول الجاحظ، راسما ملامح تلبّس الحقل الأدبيّ بالحقل السلطانيّ، مستخدما استعارة السّوق: " السّلطان سوق: وإنّما يجلب إلى كلّ سوق ما ينفق فيها، وقد نظرت في التّجارة الّتي اخترتها والسّوق

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الّتي أقمتها فلم أر شيئا ينفق إلاّ العلم والبيان عنه"[33:ج1ص 213]، وسواء أظهر تواضعا صادقا أو مصطنعا أو استشرف طعونا ونقودا مفتعلة أو موضوعيّة ورد عليها أو أفصح أسباب التأليف ودواعيه، فإنّ كلّ ذلك لا يعدو أن يكون، على حدّ تعبير ماري بيار لينو Marie-Pier Luneau، رهانات سلطويّة تعمل داخل الخطاب التقديمي[29:ص11].

ويتشكّل هذا الفضاء الرمزيّ بما يعقده صاحب السلطة، وجيها كأن أو أميرا أو سلطانا، من مجالس وما يفرضه على الأديب من رقابة، ذاك هو الحقل الأدبيّ، فما إن يأخذ الأديب في الكتابة حتّى يحدّد منزلة مصنّفه من الأقوال من جهة الغرض والنوع، ومن ثمّ يعيّن موقعه من الحقل الأدبيّ الّذي يمارس عليه عنفه الرمزيّ[34:ص131].

وقد يتّسع هذا الحقل حتّى يشمل كلّ ما له صلة بالنظام البلاغي وشروط القول، ونذكر منها تجنّب التكنيّة في مواقع الرفث أو الإعراب في مواضع اللّحن والتقاط النادر والتجافي عن التكرار إلا المشرق منه، هذا إضافة إلى إسقاط الحوشي وتجنّب كلّ ما من شأنه يناقض الخلق السويّ، يقول الحصري منبّها:

" وقد تجنّبت أن أهدي إليك وأورد عليك ما يخرج به قائله في الدين عن اتّباع سبيل المؤمنين"[32: ص3].

وقد يتحوّل الخطاب التقديمي في بعض فصوله إلى المناظرة، إذ يعمد الأديب على نحو ما فعل صاحب ذيل زهر الآداب إلى استعادة موقف يناقض صرامته في تنكّب كلّ ما لا يتوافق مع الخلق السويّ، فيظهر عليه مستندا إلى مبدإ الثالث المرفوع، فيجمع بين الانقباض والانبساط في الموقف ذاته، وبيان ذلك قوله:

" وقد رام ابن قتيبة تسهيل السبيل في مثل هذا فقال: مهما مرّ بك من كلام تنفر نفسك من كمّه، فلا تعرض عنه بوجهك فالقول مندوب إلى قائله، والعقل عائد إلى فاعله؛ قلت: وليت شعري ما اللّذة فيما يضحك منه من وهو معرض عنه"[32: ص3].

ويقتضينا الإنصاف، أن نذكر أنّ صاحب الاختيارات النثريّة يستطيب هذا العنف، لأنّه على نحو ما ذكرناه في الفقرات السابقة، لا يبتدع الأقوال ولا يؤلّفها؛ وإنّما يجيء تلفّظه مكرّرا، فهو يجري بريح السلف والآباء والمأثور من الأقوال والأخبار والأعمال.

وسمنا سابقا النصّ الأدبيّ بالمستطيع بغيره، لأنّه لا يتحوّل من مجال اللاّنص إلى مجال النصّ إلا بمعونة الخطابات التقديميّة، خاصّة إذا كان هذا النصّ واحدا من المصادر القديمة، إذ تتوزّع خطاباتها التقديميّة على خطاب تقديميّ ذاتيّ وخطاب تقديميّ غيريّ، أي خطاب المحقّقين والناشرين، فكلّ منهما يتقدّم المتن؛ ويبدو هاهنا أنّ النصّ الأكثر قدامة هو الأحوج إلى الخطابات التقديميّة والهيئات الرسميّة الّتي تيسّر له أن يلتقي بالقرّاء، فهي شرط وجوده، ودونها يظلّ كالروح الباحثة عن جسد تحلّ فيه.

يسوق فرناند ديفوارFernand Divoire تمثيلا طريفا لمنزلة الخطاب التقديميّ من المتن، فيشبّهه بمنزلة المرجل السّاخن من الخضر واللّحوم[35:ص36]، ولعلّ الأمر الطريف في كلّ ذلك أن تلتقي هذه المماثلة بمماثلة أخرى نجدها في الخطابات التقديميّة الذاتيّة، نقصد تمثيل النصّ الأدبيّ ذاته بمائدة الطعام والمأدبة؛ وفي ضوء هذا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

التصوّر نرى أنّ وظيفة خطاب المقدّمات لا تختلف في شيء عن وظيفة المجالس الأدبيّة والصالونات والديّارات، فهي جميعا هيئات تنفيق وبناء للشرعيّة النصيّة، يقول أندري باسيان بوكيبا André–Patient Bokiba في تعريفها: " يمكن أن نعرّف بناء الشرعيّة على أنّه مسار يُسمح من خلاله للمشرّع بأن يعلن صلاح خطاب مّا حتّى يُستقبل من قبل المؤسّسة المهتمة بذلك الخطاب"[36:ص78].

ولا تعني الاستنتاجات الّتي سقناها آنفا، أنّ سمة الارتهان إلى الحقل الأدبيّ وما يمارسه على الأدب والأديب من عنف رمزيّ، تقتصر على الأدب العربيّ القديم، فالأدب والأديب إلى يوم الناس هذا كيانان مستعينان بغيرهما، فنحن لا نجد في محيطنا الثقافيّ مؤسّسات تمنح الأديب شهادة تجعل منه ممارسا لمهنة الأديب، وما أشبه اليوم بالأمس، فقد لا يعدو الأمر أن يكون مجرّد تحوّل في الأسماء لا الوظائف، فمهما اختلفت تسميّات الهيئات العلميّة والثقافيّة، يبقى الأديب كائنا ثقافيّا محتاجا إلى مؤسّسة تمنحه الشرعيّة والقبول، وحسبنا أن نتمثّل بالكمّ الهائل من الصفحات والمواقع والحسابات الإلكترونيّة الّتي ينشئها الأدباء لتنفيق أعمالهم واكتساب صورة الأديب، ذاك ما يبرّر أيضا لجوء النقّاد الّذين يكتبون المقدّمات الغيريّة إلى المواضع المشتركة Lieux communs والمتصلة بمتصوّر الأدب ودواعي قراءة المصنّفات الأدبيّة وكيفيّة استقبالها.

إذن من المنطقيّ، أن يذهب جيرار جينات إلى عدّ خطاب المقدّمات هيئة سلطويّة تؤسّس الشرعيّة Instance de légitimation، فهي تضبط الأدوار الرسميّة المؤسسيّة الخاصّة بأعوان التلفّظ، سواء أكانوا كتّابا أم قرّاء[2:ص164]، معنى ذلك أنّ الكلمة وهي في طور النقل والإبلاغ، لا تجري عفو الخاطر؛ وإنّما يُنتدب لها أعوان رسميّون يحترمون الطقوس الرسميّة والسنن الأدبيّة حين يمارسون عمل الكتابة، فنصيبهم من التقسيم الاجتماعي للعمل هو الكتابة ونقل ما تتّفق الجماعة اللّغويّة الواحدة على السّفر به عبر الأزمنة لتخلّد ذكرها وتديم وجودها، ولعلّ الّذي يؤكّد هذه الوظيفة الرسميّة هو تمييز دومنيك مانقنو، مهتديّا بالطابع الحواريّ التلفظيّ في الكتابة، بين ثلاث هيئات تلفظيّة المؤلّف Auteur بوصفه ذاتا فرديّة والكاتب Ecrivain كونه أحد أعوان المؤسّسة الأدبيّة والمدوّن Inscripteur بوصفه وظيفة رسميّة ثانية تهتمّ بالأرشفة والتسجيل[37].

خاتمة

يكمن فضل دراسة خطاب المقدّمات في فضح صمت النصوص، والبوح بأسرارها، وذلك برواية قصّة تكوينها وقواعد تأليفها؛ فهي تكشف التفاعلات الّتي تسمح بإنتاج النصّ الأدبيّ وانتقاله من مجال غير موسوم إلى مجال آخر موسوم، ذاك ما انتهينا إليه، ونحن نقلّب النظر في كتب الاختيارات النثريّة، إذ إنّ الأديب يؤلّف كتابه محتذيّا سننا مخصوصة في التأليف الأدبيّ، منها ما يفصح عن متصوّر الأدب لدى العرب، ومنها ما يكشف عن وظيفة الأديب، هذا إضافة إلى مقاصد التأليف الّتي تجعل من المؤلّف عونا وسائطيّا مضطلعا بوظيفة النقل والإبلاغ.

ولقد أكّد لنا خطاب المقدّمات، أنّ فضل النصّ الأدبي وقيمته النوعيّة لا يقتصران على خصائصه الشكليّة النصيّة وسماته الداخليّة الموضوعيّة؛ وإنما يطالان الخارج الّذي يتّخذ عدّة مصطلحات، منها المؤسّسة الأدبيّة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ونظام الخطاب، وسنن التأليف، والحقل الأدبيّ؛ فكلّ نصّ أدبيّ محكوم بنظام خطاب يتعالى عليه ويتقدّمه زمنا وفضاء، فمنزلته منه تعادل الاشتراط الطبيعيّ في عالم الطبيعيّات؛ فهو الّذي يحمل على عاتقه مهمّة التلطّف في حمل القارئ على هيئة مخصوصة في الاستقبال دون أخرى، وبفضل هذه الوظيفة يغدو النصّ الأدبيّ عملا مفتوحا لا يني يتجدّد مع كلّ خطاب تقديميّ لا يلبث أن يشكّل عملا سياقيّا يتجدّد به النصّ مع كلّ نشر جديد، ذاك ما يمكن أن تسلمنا إليه المقارنة بين المقدّمات الّتي تتصدّر الكتاب الّذي يعاد تحقيقه أو نشره أكثر من مرّة.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

قائمة المصادر:

[1] أبو العبّاس الشّريشي. شرح مقامات الحريري البصريّ، بيروت، المكتبة الثّقافيّة د.ت، مجلّد2،ج4، ص.ص141-145.

[2]Gérard Genette 1987, *Seuils,* Paris, Éd. du Seuil, coll «Poétique».

[3] أبو عليّ المُحَسَّن بن عليّ التنوخيّ. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، بيروت دار صادر، تحقيق عبّود الشالجي، 1971.

[4]أبو عليّ المُحَسَّن بن عليّ التنوخيّ. كتاب الفرج بعد الشدّة، تحقيق عبّود الشالجي، بيروت، دار صادر 1978.

[5] أبو سعيد منصور بن الحسين الآبي. نثر الدرّ، تحقيق محمّد علي قرنة، القاهرة، الهيأة المصريّة العامّة للكتاب، د.ت.

[6]Gérard Genette. 1982, Palimpsestes, La littérature au second degré, Paris ,Editions du Seuil, p7,8,9,10,432,43.

[7] http://193.194.84.142/theses/traduction/ALOU3952.pdf.

[8]Idt Géneviève(1977) *« Fonction rituelle du métalangage dans les préfaces 'Hétérographes »*, Littérature, N 27 ' Métalangages', Ed Armand Colin, Larousse.

[9]Philippe Hamon, 1975, Clausules. *Poétiques, 24*, 495-526 .

[10] باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تونس المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا 2008، ص 322.

[11]Henri Mitterand; Graham Falconer; Claude Duchet; La lecture sociocritique du texte romanesque, [actes du colloque organisé à Toronto en novembre 1972 par les Universités de Toronto et de Paris-VIII] / introduction : Claude Duchet ; textes : Pierre Barberis, F. I. Case, Claude Duchet... [et al.] ; édités par Graham Falconer et Henri Mitterand;1975 Ed; Toronto : Samuel Stevens : Hakkert & Company.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[12] أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ الحصري القيروانيّ. زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق زكي مبارك، بيروت لبنان، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الرابعة، د.ت الجزء الأوّل ص 33.

[13]ابن وهب الكاتب. البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد المطلوب وخديجة الحديثي، نشر جامعة بغداد الطبعة الأولى 1967 ص191.

[14] أبو عليٍّ المحَسّن بن عليّ التنوخيّ. المستجاد من فعلات الأجواد، ويليه، فضل العطاء على العسر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله سهُل العسكري(ت 382 هـ) ويليه، الدرّ المنضود في ذمّ البخل ومدح الجود لزين الدين عبد الرؤوف المناوي، تحقيق أحمد فريد المزيدي، لبنان – بيروت دار الكتب العلميّة الطبعة الأولى .2005 ص10.

[15] ابن عبد ربّه أحمد بن محمّد، العقد الفريد، تحقيق الدكتور مفيد محمّد قميحة، بيروت لبنان، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى 1983. الجزءالأوّل ص3.

[16] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب البخلاء، ضبطه وشرح صحيحه أحمد العوامري بك وعلي الجارم بك، بيروت– لبنان دار الكتب العلميّة، د.ت، الجزء الأوّل ص33

[17] توفيق بكّار، قصصيّات عربيّة، تونس دار الجنوب للنشر، 2001.

[18]Jean Dubois, Jean-Baptiste Marcellesi, Jean-Pierre Mével, Mathee Giacomo (2001), Dictionnaire de linguistique, Ed La Rousse. p317 19 Paul Ricœur (1975), Métaphore vive, Paris Ed Seuil, p380

[20] Claude Duchet (1975) "***l'Illusion historique, l'enseignement des prefaces***(1815-1832)" RHLF ;LXXV,2-3 Revue d'Histoire de la France, LE ROMAN HISTORIQUE 75e, N :2-3, Publiée par la Société d'Histoire littéraire de la France avec le concours du Centre National de la Recherche Scientifique et de la Direction des Arts et des Lettres p 250.

[21] أبو عثمان الجاحظ، رسائل الجاحظ، " كتاب مفاخرة الغلمان والجواري" تحقيق محمّد عبد السّلام هارون، بيروت دار الجيل 1991 المجلّد الأوّل، الجزء الثاني ص 119.

[22] ابن منظور، لسان العرب، بيروت دار صادر، د ت، مادة (ر س ل).

[23] أبو الفرج الأصفهانيّ، كتاب الأغاني، دار الجيل بيروت 1986، المجلّد الأول، الجزء الأوّل، ص 39.

[24]Jack Goody: (2000) L'oralité et l'écriture, In: Communication et langages. L'énonciation éditoriale en question. Décembre N°154,.p6 .

[25] والتر . أونج، الشفاهيّة والكتابيّة. ترجمة د. حسن البنا عزالدين، كتاب عالم المعرفة ع 182 الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب فبراير 1994، ص55.

[26] عبد الرحمان بن خلدون،: المقدّمة، تونس، الدار التونسية للنّشر والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر–،1984 ج2، ص721

[27] Roland Barthes 1980, *le grain de la voie ,Entretiens 1962- 1980*, Paris, Ed Seuils p, 224, 225

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[28] Dominique Maingueneau, D. (2002). Problèmes d'éthos. Pratiques, 113, 55-68. p 62 voir aussi: Michel Foucault, M. (1971/2013). La grande étrangère. A propos de littérature. Paris : HESS p 110

[29] LUNEAU (Marie-Pier) et SAINT-AMAND (Denis), « En guise de préface », La Préface. Formes et enjeux d'un discours d'escorte, p10

[30] العادل خضر، الأدب عند العرب، مقاربة وسائطيّة، تونس، كليّة الآداب منّوبة، دار سحر للنّشر، الطبعة الأولى 2004 ص 384

[31]Philippe Hamon 1983, « Note sur la référence », dans *Fabula, 2*, p.147

[32] أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، ذيل زهر الآداب أو جمع الجواهر في الملح والنوادر، مصر، المطبعة الرحمانية، د.ت ص 2

[33] أبو عثمان الجاحظ، رسائل الجاحظ ، رسالة الفتيا، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون(4 أجزاء)، القاهرة مكتبة الخانج، الطّبعة الأولى 1979،ج1، ص213.

[34]J. Dubois, *L'institution de la littérature*, Bruxelles, Labor, 1978, p. 131

[35]Fernand Divoire, 2005, *Introduction à l'étude de la stratégie littéraire* [1912], Paris, Mille et une nuits, p. 36.

[36]André-Patient Bokiba, « Le discours préfaciel : instance de légitimation littéraire » Études littéraires, vol. 24, n° 2, 1991, p. 78

[37] D. Maingueneau, (2004). Retour sur une catégorie : le genre. In J. -M. Adam, J. –B Grize & M. Ali Bouacha, Texte et discours: catégories pour l'analyse (pp. 107-118). Editions Universitaires de Dijon.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq